كتاب كل أسرة

محاورة شيقة في السيرة النبوية بين أفراد الأسرة
بأسلوب قصصي جذاب

ندوات الأسر

في سيرة خير البشر

محمد عمر داعوق
محمد عمر داعوق

الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها

حديث شريف

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة
بيروت ١٣٨١هـ ١٩٦٢م

الإهـــداء

- الى كل شاب يتطلع إلى مثل أعلى في حياته ..
- الى كل انسان ينشد الكمال الأنساني والجمال الخلقي ..
- الى كل والد ووالدة يحرصان على خير أبنائهما وسعادتهما ..
- الى كل معلم ومعلمة يرغبان في تعليم طلابهما السيرة النبوية بيسر وسهولة ..
- الى هؤلاء جميعا أهدي كتابي هذا لعل الله ينفعهم به ..

المؤلف

المؤلف

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

(قرآن کریم)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل محمداً رحمة للعالمين ، وجعله مثلاً كاملاً للعاملين ، وأسوة حسنة للمؤمنين ، والصلاة والسلام على هذا النبيّ ، الرؤوف بالمؤمنين الرحيم ، القائل « إنما أنا رحمةٌ مهداة » وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فنحن أسرة مؤمنة حريصة على خير الناس ، أحببنا أن نقدم للأسر أمثالنا السيرة النبويّة الفوّاحة ، في محاورة شيّقة بين أفرادنا في أثناء ندواتنا المسائية ..

لقد رأينا أن الناشئة تتطلع دائماً إلى مثل أعلى في حياتها ، فأردنا أن نقدم لهذه الناشئة أعظم وأنفع شخصيةٍ عرفها تاريخ البشر ، لتقتدي بهديها ، وتنسج على منوالها ، فتسعد بدنياها وأخراها ، وتنهض بأمتها ووطنها ، ولتكون خير أمةٍ أخرجت للناس بإذن ربها ..

هذه الرحمة الربانية ، هي محمد بن عبد الله رسول الله إلى العالم كافةً بشيراً ونذيراً ..

نقدمه للشباب الناشيء من خلال سيرته الكريمة العطرة ، ليتدبروا عبرها ، ويتأملوا حكمها ، إذ هي خير درس لمن كان لهقلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وقد اقتصرنا على سَرْدِ أهم الغزوات والحروب مستخلصين الدروس القيمة منها ، ثم عمدنا الى بيان شمائله الكريمة ، وتفصيل أخلاقه العظيمة التي

بها مدحه ربه بقوله ، « وإنك لعلى خلق عظيم » .

كما راعينا في عرض هذه السيرة مميزات أربع :

أولاً : طريقة المحاورة لتكون أقرب إلى الأفهام .

ثانياً : الأسلوب القصصي الشيق لتكون أرسخ في الأذهان .

ثالثاً : ربط الحوادث بالقرآن لتصلح للامتحان .

رابعاً : استخراج الحكم والعبر لتدرس كما يدرس التاريخ بتدبير وإمعان .

فيا أيها الآباء والأبناء دونكم سيرة الإنسان الكامل ، الذي جمع كل صفات الجمال والكمال ؛ هذا الذي بعثه ربه ليتمم مكارم الأخلاق .. اتخذوا من سيرته ندوات في بيوتكم ، تتنزل عليكم بمدارستها الرحمة ، وتحفكم بمذاكرتها الملائكة ، فمن لا يعرف السيرة النبوية لا يعرف محمداً رسول الله ، ومن لا يعرف رسول الله ﷺ ، لا يعرف الإسلام وقلما يفقه القرآن ..

والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

محمد عمر داعوق

من

عباد الرحمن

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

« قرآن كريم »

٢١-٥-١٩٧٢

كلمة لابد منها

أيها القارىء الكريم

ليس المقصود من هذا الكتاب متانة اللغة ، ولا فصاحة الأسلوب ولا بلاغة الكلام . (فلم يترك رسول الله ﷺ بجوامع كلمه لأحد من الناس فصاحة ولا بلاغة) ، بل المقصود منه أن نعرّف فلذات أكبادنا بنبيّهم ليحبوه — فالناس أعداء لما جهلوا — فاذا أحبوه ، اقتدوا أو تأدبوا بهديه وتأدبوا بتعاليمه . فقد عشنا سنين مع هؤلاء الفتية في المخيمات والرحلات والأعمال الجماعية ، فعرفنا كيف يفكرون وكيف يفهمون ، ونبينا عليه الصلاة والسلام يوصينا أن نحدث الناس بما يفهمون ، فلا تتفاصح ، ولا تتفيهق ، كما يقرر هذه الحقيقة القرآن الكريم فيقول : « **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** » والبلاغة كما يعرّفها الإمام الشيخ محمد عبده ، هي أن تبلغ من نفس مخاطبك ما تريد ، وأظننا قد أدركنا بهذه البساطة ما ابتغينا والحمد لله .

نرجو أن تتمتع مع من تحب بقراءته ، وتروح قلبك بمذاكرته ، فتفيد منه العلم والحكمة ، فمن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً . .

فاذا حصل . . فادع لنا بخير . جمعنا الله وإياك تحت لواء المصطفى ﷺ ونفعنا بما علمنا . . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

م . ع . د

تمهيد

تجتمع الأسرة برئاسة الأب عشية كل ليلة من ليالي الشتاء الطويلة حول نار التدفئة ، بعد انتهاء الأبناء من واجباتهم المدرسية ، يتذاكرون السيرة النبوية العطرة ، فيؤلفون بذلك ندوة لطيفة مغذية للروح ، يتحاورون فيها بأدب جم عن حياة الرسول ﷺ ومـــا مر به من أزمات ومحن وحروب وانتصارات ، تصلح كلها لأن تكون نبراساً يستضيء به كل عامل في سبيل الخير ، مجاهد في سبيل الحق ، داع الى كل فضيلة .

وهي إذ تقوم بهذه الندوات المتسلسلة ، تود أن تقتدي بهـــا بقية الأسر لتكون على اتصال دائم بسيرة خير خلق الله محمد رسول الله ﷺ فتستنير بأعماله ، وتهتدي بأقواله ، وتتأسى بسلوكه وأخلاقـه ، فتسعد في الدارين ، وتفوز بالجنتين .. قال تعالى :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً » .

أعضاء الأسرة :

الأب ابراهيم : رجل أعمال متوسط الحال وعمره ٤٥ سنة .
الأم مريم : ربة بيت متوسطة الثقافة وعمرها ٤٠ سنة .
الإبن هاني : طالب في البكالوريا الثانية وعمره ٢٠ سنة .
البنت سعاد : طالبة في البكالوريا الأولى وعمرها ١٨ سنة .
الإبن باسم : تلميذ في الشهادة التكميلية وعمره ١٦ سنة .
البنت زينب : تلميذة في الثـــاني ثانوي وعمرها ١٤ سنة .
الإبن حسيب : تلميذ في الشهادة الابتدائية وعمره ١٢ سنة .

الندوة الاولى

الأب ابراهيم : هيا يا أم هاني أحضري بنيك لنعطر ندوتنا بذكرى الحبيب الأعظم محمد ﷺ . فهل هم مستعدون ؟

الأم مريم : نعم . لقد انتهوا من أداء واجباتهم المدرسية يا أبا هاني .. نادِ يا هاني إخوتك من غرفهم للاجتماع حول الموقد فالليل ليل قر .. (قـارس).

هاني : (ينادي بصوت معتدل فيه رقة ونغمة) سعاد .. باسم .. زينب .. حسيب .. هلموا إلى الندوة أبوكم يناديكم .

الجميع : ها نحن اولاء حاضرون ..

(يخرجون سراعاً من غرفهم ويجلسون بين يدي أبيهم وأمهم) .

الأب : هل انهيتم واجباتكم المدرسية يا أولادي الأعزاء ؟

هاني : نعم يا أبي والحمد لله ، وراجعنا أيضاً بعض فصول السيرة النبويـة الكريمة ، تحقيقاً لرغبتك ، وعملاً بمشورتك لنكون على استعدادٍ للاجابـة عند المحادثة .

الأب : حسناً وفقكم الله وفتح عليكم الفهم والعلم . هيا بنـا نبدأ ندوتنا بالسيرة من أولها .

الأم : لي ملاحظة يا أبا هاني قبل البدء . أرجو من أولادي الأحبـة أن تكون أجوبتهم في غاية الايجاز ، فخير الكلام ما قل ودل .

سعاد : إن شاء الله يا أمي ، فالوقت ثمين ، والذي نستطيع أن نقوله بكلمة فلن نجعله بكلمتين .

الأب : حسناً حسناً ، لنبدأ الآن بالفصل الأول من السيرة .

٥٧٠
٠٦٣
٦٣٣

12-5-1977
Pers

الفصل الأول

نشأته عليه الصلاة والسلام

ابراهيم : السؤال الآن موجه إلى أصغرنا سناً .. إلى حسيب .. متى ولد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وكيف نشأ ؟

حسيب : ولد سنة ٥٧٠ عام الفيل . ونشأ يتيماً غير موسر . مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب ، قبل أن يولد ، ثم ماتت أمه آمنة بنت وهب وعمره ٦ سنوات ، فكفله جده عبد المطلب سيد قريش ، حتى إذا بلغ الثامنة توفي جده فكفله عمه أبو طالب وضمه إلى أولاده معززاً مكرماً ..

إبراهيم : أحسنت يا حسيب بهذا الجواب الموجز ، والآن السؤال لزينب : هل كان لمحمد ﷺ ميزات خاصة حببته إلى الناس يا زينب ؟

زينب : نعم يا أبي ، لقد كان له سَمْتٌ حسن ، وخُلُقٌ كريم يتميز به عن أترابه (١) ، فقد اشتهر بالصدق والأمانة ، وعرف بالنجدة والمروءة ، فأحبه الناس جميعاً حتى لقبوه بالأمين ..

ابراهيم : طيب الله فاكِ يا زينب . وأنت يا باسم هل شارك محمد قريشاً في عبادتها الأصنام .. وعاداتها المستهجنة ؟

باسم : معاذ الله يا أبي .. ما عُلم عليه من سوء فلم يسجد لصنم ولم يحلف به . ولم يقترف معصية .. فقد هيأه ربه لحمل أكبر رسالة عرفها تاريخ البشر . فرباه على عينه ، وأدبه فأحسن تأديبه ..

إبراهيم : بارك الله فيك يا باسم لقد نطقت بالحق والصواب ، ولننتقل إلى

---

(١) المماثلين في العمر .

سعاد ، أين استرضع محمـــد ؟ ومنَ التي أرضعته ؟ ثم كم مكث عندهـــا في البادية ؟ وما أثر ذلك في نفسه ؟

سعاد : استرضع في بني سعد بن بكر . أرضعتـــه حليمة السعديـة . ومكث في البادية أربع سنوات . نشأ فيها على خشونة العيش . وتربى فيها على حياة الصحراء القاسية ، كما تعلم هناك لغة العرب المصفـاة .. فكـان أثر ذلك في نفسه يجليه قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه فيما بعد :

« أنا أفصح من نطق بالضاد ، بَيْدَ أني مـن قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر » .

إبراهيم : أحسنت يا سعاد ، هذا الذي حصل بالفعـل .. ولكن هل تستطيع يا هاني أن تذكر لنا لمـــاذا آثرت قريش أن ترضع أولادهـا في البادية ؟.

هاني : نعم يا أبي .. ذلك ليجنبوهم ميوعة المدن وترفها ، فيترعرعوا في صفاء البادية ، ويشتد عودهم في جوها النقي ، وبيئتها الخشنة ، فيكونوا أقوى على احتمال شظف العيش ونقلبات الحياة في مستقبل أيامهم .

إبراهيم : نعم هذا إلى مـــا سبق أن ذكرته اختك من تمكنه من أسرار الفصاحة العربية الخالصة . ولكن من منكم يعرف الحكمة من نشأته عليـه الصلاة والسلام يتيماً عائلاً ؟..

هاني : أظن يا أبي ليتولى ربه تربيته بنفسه ، ثم ليجنبه الإعتماد على الوالدين في جميـع شؤونه ، فيجعله يدبر أموره بنفسه ، لهذا يشب اليتيم ويبلغ مبلغ الرجال قبل غيره من الأولاد ..

سعاد : هناك ناحية ثانية مهمة أغفلتها يا أخي هاني .. هي أن يطبـــع نفسيته بطابع الإحساس القوي بآلام اليتامى ، فيشاركهم شعورهم في حياتهم . لهذا نراه ﷺ يكافىء على رعاية اليتيم ما لا يكافىء على غيره من الأعمـال الصالحة فيقول : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » .

(ويشير باصبعيه السبابة والوسطى) .

إبراهيم : هذا صحيح فكلا كما على حق وأزيدكم حديثاً شريفاً في هذا المعنى : « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه .. وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » .

مريم : حدثنا هاني وسعاد عن اليتم ولم يتحدثا عن الفقر .

هاني : أما بخصوص الفقر ، فقد أنشأ الله محمداً قليل المال ليؤصّل في نفسه الصبر على مشقات الحياة ويعوده السعي من أجل الرزق الحلال ، ثم ليضرب به المثل للفقراء ، حتى لا يستحيوا من فقرهم فينحرفوا عن جادة الخلق ، ومنهج الفضيلة بطلب الثراء من الكسب الحرام .

سعاد : وعلى ضوء هذا الفقر الذي عاش فيه ﷺ عالج شؤون الفقراء بخبرة وحكمة يهديها وحي السماء ..

مريم : وبكلمة مختصرة يا هاني أرى أن يُتمَه وفقره جعلاه يشعر مع اليتامى والمساكين بالبؤس والحرمان ، حتى إذا حان وقت الرسالة يكون قد ذاق كل آلام المجتمع وتعرف على جميع أمراضه ، فيداويه على ضوء إحساسه بآلامه ومعرفته بأمراضه .

إبراهيم : هذا هو الواقع يا أم هاني ، لقد أجدت الوصف وأحسنت الايجاز .. والآن .. من يخبرنا هل لنشأة النبي ﷺ ذكر في القرآن الكريم ؟..

باسم : هذا دوري يا أبي . نعم .. لقد ذكر الله عز وجل نشأته ﷺ في سورة الضحى فقال له :

« ألمْ يجِدْكَ يَتيماً فآوَى * وَوَجدَكَ ضالاً فهَدَى * وَوَجدَكَ عائلاً فأغنى * » .

مريم : أنا محتارة يا أبا هاني في قوله تعالى « وَوَجدك ضالاً فهَدى » فهل لديك ما يزيل حيرتي ويُطَمْئِنُ نفسي ؟.

إبراهيم : كان عليه الصلاة والسلام يدرك بفطرته السليمة أن الحق في غير ما يعتقده قومه . لهذا كان يتطلع باحثاً عن مخرج يشع منه ضوء الحق ليهتدي

به . فكان موقفه في حيرته .. موقف الضال الباحث عن طريق النجاة . حتى منّ الله عليه وعلى البشرية بالوحي الذي يُخرج الناس من الظلمات إلى النور .

مريم : دعني يا أبا هاني أسأل زينب هل طلب ربه منه شكراً لهذه النعم التي امتنّ بها عليه في قوله :

« ألمْ يجِدْكَ يَتيماً فآوَى * وَوَجدَكَ ضالاً فهَدى * وَوَجدَكَ عائلاً فأغنى * » .

زينب : نعم يا أمي .. لقد طلب منه شكراً عمليّاً مقابل كل نعمة من هذه النعم ، لا شكراً قوليّاً كما يفهم كثير من الناس معنى الشكر فقال في نفس السورة :

« فأما اليَتيمَ فلا تَقْهَر * وَأمّا السائِلَ فلا تَنْهَر * وأمّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فحَدّثْ * » .

إبراهيم : نعم هذه هي حقيقة الشكر في نظر الإسلام يا أبنائي ، هو أن تحسن إلى الناس كما أحسن الله اليك . والآن السؤال لحسيب .. يقال يا حسيب ان الأنبياء رعوا الغنم في صغرهم .. فهل رعى محمد عليه السلام الغنم في صغره ؟ وما الحكمة في ذلك ؟..

حسيب : ألخص هذا الجواب يا أبي بحديث شريف تعلمته اليوم في المدرسة. قال رسول الله ﷺ : « ما أرسل الله نبياً إلا وقد رعى الغنم .. قالوا : وأنت يا رسول الله ؟.. قال : وأنا كنت أرعاها على قراريط (١) لأهل مكة .. » أما الحكمة من ذلك فأترك ذكرها لأخي هاني لأنه أوسع مني إدراكاً .

هاني : نعم ليدربهم ربهم برعاية الغنم على رعاية الأمم ، وذلك بالحدب عليهم والرحمة لهم ، وحسن اليقظة بهم وتأمينهم الأخطار ، ثم ليفسح لهم بهذا

---

(١) القيراط يساوي ١-١٢ من الدراهم .

الوقت الطويل مجال التفكر في خلق السموات والأرض ، والتأمل بما يشاهدون من آيات الله .

إبراهيم : نعم هذا هو الصواب ، وهذا ما يبرهن لنا على أن الله عز وجل أرسل الأنبياء من صميم الشعب واوساطهم وليس من مترفيهم ، ليختلطوا بأقوامهم ، ويتفهموا مجتمعاتهم ويحسوا بأحاسيسهم ، حتى إذا حـــان وقت بعثتهم يكونون قد أدركوا كل ما عليهم من واجبات الإصلاح نحو أمتهم . تعالوا يا أولادي نقرأ سورة الضحى لنجعل ختام هذا الفصل مسكاً .

حسيب : أتسمح لي يا أبي بقراءة السورة ؟ فاني أجيدها قراءة وترتيلا . فاسمعوا لي ، فقد أخبرنا المعلم أن المستمع شريك القارىء في الأجر .

ابراهيم : اقرأ يا حسيب طيب الله أنفاسك ، وجعلنا ممن يتأدبون بآداب هذه السورة ..

(يقرأ حسيب سـورة الضحى والجميـع ينصت بخشوع كـــأن على رؤوسهم الطير) .

وبانتهاء القراءة ينتهي الفصل الأول من السيرة باختصار كبير ، إذ لايتسع الوقت لهؤلاء الطلبة أن يتوسعوا في الدقائق والتفاصيـل لانشغالهم في دروسهم لكنهم عازمون على مدارسة السيرة المطولة بعـــد تخرجهم من مدارسهم ان شاء الله .

من تعاليم محمد (ﷺ)

« اتق المحارم تكن أعبد الناس .
وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس .
واحسن الى جارك تكن مؤمناً .
واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً .
ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب . »

الفصل الثاني

حلـــف الفضـــول

إبراهيم : هذا الفصل فيه حادث هام وقع في الجاهلية ، وكان له أطيب الأثر في نفس محمد الزكيّة ، وقد سماه العرب يومذاك حلفاً .. فمن منكم يحدثنا عنه باختصار ؟

هاني : أنا أحدثكم عنه بايجاز .. هو حلف الفُضول ، وهو أشرف حلف في العرب ، وسببه أن تاجراً من أهل اليمن باع بضاعته لرجل من قريش اسمه (العاص بن وائل) ، فأكل عليه ثمنها ، فما كان من التاجر اليمني إلا أن رفع ظلامته بقصيدة مؤثرة لقريش فلما سمعها بنو هاشم دبت فيهم روح النجـــدة فكان أن دعوا إلى تعاقد يتعهدون فيه ألا يجدوا بمكة مظلومـاً إلا نصروه حتى ترد إليه مظلمته ، ثم أجبروا الرجل على دفع حق التاجر ، وأظن أنهم سموا ذلك التعاقد حلف الفضول ، لان الذين قاموا به ثلاثة رجال من أهـل الفضل واسم كل منهم فضل وفضالة ومفضل .

إبراهيم : هل قال عليه الصلاة والسلام في هـذا الحلف شيئاً يا باسم وكم كان عمره يومئذ ؟

باسم : نعم يا أبي لقد قال في حديث مشهور :

« لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أحب أن لي بـه حُمْرَ النعم (١) . ولو دُعيت إليه في الإسلام لأجبت .. » وكان عمره حوالي ١٦ سنة .

مريم : دعني يا أبا هاني أسأل سعاد . لماذا رفع رسول الله ﷺ قدر هـذا

---

(١) حمر النعم : الابل الحمراء وهي أنفس أموال العرب يومئذ ومعنى الحديث : ان شهودي هذا الحلف احب الي من نفيس الاموال .

الحلف الى هذه الدرجة ، مع أنه وقع في الجاهلية ؛ وهو يومئذ فتى يافع ؟

سعاد : لقد رفع رسول الله ﷺ قيمة هذا الحلف يا أمي ليدلل على أن نصرة المظلوم ، هي أحب الأمور الى نفسه الزكيـــة ؛ ثم ليعلمنا أن نصرة الضعيف واغاثة الملهوف مهما يكن دينه وجنسه . ينبغي أن تكـون أحب الأعمال الى نفس المسلم الصادق .. ولأجل هذا جاهد المسلمون وفتحوا البـلاد ليرفعوا الظلم عن الناس .

ابراهيم : معنى نبيل ياسعاد .. وأنت يا باسم .. هل تذكر لنا آية جامعة شاملة لهذا المعنى الكريم ؛ تكون ختاماً لهذا الفصل ؟

باسم : نعم يا أبي فلطالما سمعتها من الخطباء وهم على المنابر يختمون بها خطبهم يوم الجمعة يحضّون بها الناس على العدل واجتناب الظلم ..

« إنَّ اللهَ يَأمُرُ بالعَدْلِ والأحْسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى ، وينهَى عَنِ الفَحشاءِ والمنكَرِ والبغي ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تذَكَّرون .. » .

« ابن الذبيحين »

ابراهيم : أحنست يا باسم والآن قبل أن ننتقل الى الفصل الثالث أود أن اسأل هاني سؤالاً قلما يعرفه كثير الناس ..

قال رسول الله ﷺ : « أنا ابن الذبيحين » فمن هما هـــذان الذبيحان يـا ترى ؟!..

هاني : ان لذلك قصة طريفة يا أبي فالذبيح الأول هو اسماعيل عليـــه السلام وقـد ذكر لنـــا رب العالمين قصتـه في كتابـه الكريم في سورة « الصافات » وتبدأ هذه القصة بقوله تعـــالى عن ابراهيم أبي الأنبياء عليه الصلاة والسلام :

« وبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال : يا بني إني أرى في المنام

أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين .. »

أما القصة الثانية ، فهي أن عبد المطلب جد الرسول ﷺ وسيد قريش ، لم يكن له إلا ولد واحد ، وبما أن الزعماء بحاجة إلى كثير من الأولاد ليساعدوا آباءهم على مهام الزعامة ، فنذر أن لو وُلد له عشرة أولاد ، ليقدم أحدهم قرباناً لله عند الكعبة . وفعلاً رزقه الله عشرة أولاد كان آخرهم عبد الله أبا الرسول ﷺ واحب أولاده اليه . فلما كبروا كلهم وحان وقت تنفيذ النذر أمرهم أبوهم أن يذهبوا الى الكعبة ويكتب كل واحد اسمه على قدح من أقداح الكعبة التي كانوا يقترعون عليها ، ثم اقترعوا فخرج قدح عبد الله الشاب الجميل ، فأخذ عبد المطلب سكينه وذهب بابنه الى الكعبة ليضحيه هناك .. وهنا ضجت قريش وخرجت إليه من أنديتها ليمنعوه من عمله هذا ، فقال له أحدهم :

« والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه » . فذهبوا الى عرّافة فسألوها عن أمرهم . فسألتهم كم الديّة فيكم ؟ قالوا عشرة من الابل. قالت : ارجعوا إلى بلدكم وقربوا صاحبكم (عبد الله) وقربوا عشرة من الابل ، ثم اقترعوا عليها بالقداح فإن خرجت عليه فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم ، فقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قربوا عشراً من الابل فخرجت القداح على عبد الله فزادوها عشراً فخرجت أيضاً على عبد الله ثم زادوها عشراً ثالثة ورابعة وخامسة حتى بلغت عشر عشرات فإذا بالاقداح تخرج على الابل فاعادوا الكرة ثلاث مرات وفي كل مرة كانت تخرج على الابل فايقنوا أن الله قد رضي بالفداء ، فنحروها وتنفسوا الصعداء ، وحمدوا الله على الخلاص من هذه الفاجعة وصدق رسول الله ﷺ فهو ابن الذبيحين إسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وعبد الله بن عبد المطلب الفتى النجيب الوسيم .

مريم : سبحان الله يا أباهاني فكأن الله عزوجل يريد أن يرفع من شأن الرسول ﷺ قبل ولادته فجعل فداء أبيه مئة من الابل بعد أن كانت عشراً ، إرهاصاً لمجيء

محمد ﷺ بالإضافة إلى رحمته بعبد المطلب الذي التجأ إليه يدعوه ويتضرع إليه ليرضى عن الفداء ، فما أعظم الشبه في القصتين !!

ابراهيم : هو ذاك يا أم هاني فلم يكن لعبد الله من وظيفة في هذه الحياة القصيرة التي عاشها إلا أن يزرع محمداً ثم يموت .. فسبحان مصرف الأمور .. اقرأي لنا يا زينب قصة اسماعيل عليه السلام من سورة الصافات لنرى كيف فداه رب العالمين بكبش عظيم رحمة بأبيه المنيب الأوّاه الحليم .

(تقرأ زينب .. وتمسح والدتها دموعها لهول الابتلاء ..) .

من تعاليم محمد ﷺ

عن عمرو بن عبسة (رض) قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ، من معك على هذا الأمر ؟ قال . « حرٌ وعبد » . قلت ما الاسلام ؟ قال : « طيبُ الكلام ، واطعام الطعام » . قلت : ما الايمان ؟ قال : « الصبر والسماحة » . قلت : أيُّ الاسلام أفضل ؟. قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » . قلت: أيُّ الايمان أفضل : قال . « خلق حسن » . قلت . أي الصلاة أفضل ؟ قال : « طول القنوت » . قلت : أيُّ الهجرة أفضل ؟ قال : « أن تهجر ما كره ربك » . قلت : أيُّ الجهاد أفضل ؟ قال : « من عُقر جوادُه وأهريق دمه » قلت : أيُّ الساعات أفضل ؟ قال : « جوف الليل الآخر » .

رواه أحمد

الفصل الثالث

حياته (ﷺ) قبل البعثة

إبراهيم : لننتقل إلى الفصل الثالث من السيرة يا أعزائي . فمن منكم يحدثنا باختصار عن حياته ﷺ قبل البعثة ؟

مريم : أنا افتح هذا الباب بكلمة موجزة يا أبا هاني إذ هي من اختصاصنا نحن النساء . تقول السِّيَر أنه خرج وهو غلام في تجارة مع عمه فكان بركة على عمه ، ثم خرج وهو شاب إلى الشام في تجارة (لخديجة بنت خويلد) وهي سيدة ثريّة من أشراف مكة فربحت تجارتها ، فاعجبها سمته وأمانته ، كما اعجبه فيها عقلها الكبير وفهمها الواسع وفراستها القوية الصادقة ، فتزوجها وهو في الخامسة والعشرين من عمره وهي في الأربعين ، فكانت له خير زوج أسعدته بكرم أخلاقها وطيب معشرها ، وأغنته بوفير مالها وكريم تضحيتها ..

إبراهيم : جميل منكِ هذا الإيجاز يا مريم ، ولكن هل أنجبت له أولاداً يا زينب ؟.

زينب : نعم يا أبي . أنجبت له عدة أولاد : القاسم ، وعبد الله (الملقب بالطاهر والطيب) وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وأخيراً فاطمة الزهراء ، زوجة ابن عمه (علي ابن أبي طالب) رضي الله عنه .

إبراهيم : أحسنت يا زينب ، وأنت يا سعاد هل عاش جميع من ذكرت زينب ؟

سعاد : لا . فلم يعش من الذكور أحد ، فقد ماتوا صغاراً ، أما بناته فقد توفين في حياته بعد زواجهن إلا فاطمة عليها السلام فإنها عاشت بعده ستة أشهر .

إبراهيم : يظهر أن الله عز وجل لم يرد أن يشغله بالأولاد ليتفرغ لأبوة الأمة جميعاً ، فرزقه إياهم ثم اختارهم لجواره ليعظم له أجره في الصبر على هذه

المصائب .. والآن السؤال لباسم ، كيف كان حاله عندما بلـــغ الثلاثين من عمره ؟

عزلة وتحنث

باسم : عندما بلغ العقد الرابع من عمره ، حُببت إليه العزلة ، فكانت خديجة الوفية تزوده بالطعام الى غار حراء يَتحنث (١) فيه الليالى ذوات العدد ، يتأمل الكون باحثاً عن الهداية الربانية ، ومستنكراً ما عليه قومه من عبادة للأصنام ، وفوضى اجتماعية ، وعادات قبيحة تأباها النفوس السليمة .

إبراهيم : أحسنت الوصف يا باسم .

حسيب : أبي.. لقد حججت في السنة الفائتة مع مجموعـــة من إخوانك . فهل فكرت بزيارة حراء للتعرف عليه ؟

إبراهيم : بلى يا حسيب لقد زرت غـار حراء (٢) في أواخر رمضان ١٣٨٠ هـ وبتُّ فيه ليلة ، ومع أن زيارتـــه ليست من الدين ، إلا أنني أحببت أن أشهد المـكان الذي كان يتحنّث فيه النبي ﷺ والذي شع منه الوحي الأول ، وتنزل فيه بواكير القرآن الكريم ، كما أحببت أن أحس بالمشقة التي كان يحسها رسول الله ﷺ عندما كان يصعد هذا الجبل الوعر المسالك ليعتكف فيـــه بُعيداً عن ضوضاء قريش وعبثها .

زينب : وكيف رأيت الغار يا أبي ؟

إبراهيم : هو عبارة عن صخور كبيرة ، بينها فجوة ارضها تراب ، وطولهـا حوالي المترين بعرض متر ، والمكان صعب العثور عليه بلا دليل ، وهنـاك نزل الوحي في هذا الصفاء والسكون .

هاني : شكراً يا أبي على هذه المعلومات ، وأرجو الله أن يرزقني وإخوتي حـج بيته لنشهد المنافع التي ذكرها رب العالمين في كتابه الكريم .

إبراهيم : آمين يا بني فقد قـــال ﷺ « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

---

(١) يتعبد بالتأمل .

(٢) حراء : جبل شمال مكة على عشرة كيلو مترات تقريباً بطريق السيارة .